

## المتخادلون

## الثقافة الافتراضية

لقد بات عالم الإنترنت الافتراضي عالماً مستقلاً بذاته، ولكل مؤسسة أو هيئة أو شركة أو مجموعة سياسية أو ثقافية موقع افتراضي على الإنترنت. وصرت تستطيع أن تجد دولة كاملة بكل مناحي الحياة موجودة على الشبكة. في المجال الثقافي، صرت تصادف آلاف المواقع الثقافية أثناء إبحارك في شبكة الإنترنت، للثقافة ومدارسها، للأدب وتياراته، للشعر وفنونه. بل وصل الأمر إلى امتلاك كل شخصية ذات أهمية في مجالها موقعاً خاصاً على الإنترنت. ولا شك أن مواقع الإنترنت وكثافتها مرت بعدة مراحل فكانت - بسبب كلفتها العالية وندرتها - تقتصر على المؤسسات الضخمة والوزارات، ثم توسعت إلى المؤسسات المتوسطة والجماعات الغنية. أما اليوم فباتت في متناول يد كل المؤسسات الصغيرة أو الصحف أو من يريد من العامة.

عالم الإنترنت عالم مستقل بذاته ولكنه بلا شك مرتبط بحقيقة ثابتة، هي أنه لولا العالم الواقعي لما وجد العالم الافتراضي، بل بلغ الأمر بأن اعتبر البعض أن العالم الافتراضي مرآة مطابقة للعالم الواقعي بهيئاتها ومؤسساتها وجماعاتها وشخصها.

السؤال الثقيل هنا، لماذا تخلّصت الثقافة الفلسطينية على الإنترنت رغم قوة حضورها في العالم الواقعي؟

لا أظن أن الإجابة على هذا السؤال ضرورية بقدر ضرورة العمل على تدارك هذه الأزمة: أزمة قلّة وسطحية وشخصنة المواقع الفلسطينية الثقافية.. فالإجابة العملية على هذا السؤال الملح هي في العمل على موقع ثقافي فلسطيني واسع جامع عميق حيوي، وقادر على المتابعة والتواصل مع كافة التيارات الثقافية الفلسطينية..

فمتى يكون ذلك؟

قبيل اجتياح العراق، عُقدت المؤتمرات القومية والإسلامية الشعبية والنخبوية، تدين كلها الحملة الأمريكية على المنطقة، وقف النائب البريطاني جورج غالوي في أحد المؤتمرات قائلاً: لا نستطيع أن نقدم لكم ما لا تقدّمونه لأنفسكم، قد يتظاهر الأوروبيون مرة أو مرتين أو أكثر، ولكنهم إذا رأوا أصحاب القضية نائمين لا يتظاهرون، فسيقولون - بالتأكيد - لستنا أم الولد..

أكثر من حادثة وموقف خذل فيه العرب أنفسهم بسبب تصرفات بعض المدسوسين فيما بينهم. وهذا ما حصل مؤخراً في قضية المقاطعة الأكاديمية البريطانية لبعض الجامعات الإسرائيلية.. فكما بات معروفاً، اتخذ الأكاديميون البريطانيون قراراً - تراجعوا عنه فيما بعد - بمقاطعة جامعتي حيفا وبار إيلان ودراسة إمكانية مقاطعة الجامعة العبرية في القدس.

لم تكن هذه المقاطعة لانطباع وجداني في نفوس الأكاديميين، بل ردة فعل مباشرة على تصرف أكاديمي عنصري واضح. حيث ضغقت إدارة جامعة حيفا على البروفيسور إيلان بابيه وعلى الباحث تبدي كاتس بسبب العمل على بحث حول مجزرة «الطنطورة» موثق بشهادات عدد من الناجين والجنود المشاركين في ارتكاب المجزرة.

أما جامعة بار إيلان فقد تبنت «ترقية» معهد مستوطنة (أرييل) إلى جامعة مستقلة تمنح شهادات للمستوطنين مما يشجع على الاستيطان في الضفة.

الجامعة الثالثة التي كانت قيد البحث بالمقاطعة هي الجامعة العبرية التي أقامت كثيراً من مباحثها على أرض فلسطينية تمكنت من الحصول عليها بعد أن صادرتها حكومة الاحتلال تحت عنوان «المصلحة العامة».

في هذه الأثناء قام د. سري نسيبة رئيس جامعة القدس بإبرام اتفاقية تعاون مع الجامعة العبرية، صدمت الأكاديمي الإسرائيلي إيلان بابيه (المهدد بالطرده من جامعة حيفا) الذي قال: إنني أحترم جميع الآراء ولكن يصعب علي فهم وتفهم الدكتور نسيبة الذي أقامت سلطات الاحتلال جدار عزل بين جامعتيه والجامعة العبرية.

تاريخ نسيبة يشهد عليه منذ ما قبل وثيقة سري نسيبة - عامي أيا لون، حتى مبادرة جنيف إلى اليوم مسيرة مليئة بالخزي، وبرّر ذلك بأنه مجرد مواقف «سياسية».

السلطة التي أقالته في هذه المرحلة، هي التي كانت وراء تعيينه والصمت على مشاريعه، وبعائقي أن السلطة لم تكن لتقبله لولا قضية البطيريك إرينيوس وبيعه شارعاً كاملاً في القدس.

الآن فقط، انتهت السلطة إلى خطر سري نسيبة وأقالته، رغم رعايته لتنازلات، وتأسيسه حزباً على منهجه ويستقل منصبه بحسم نسبة كبيرة من الأقساط الجامعية عن من ينتسب إلى حزبه من الطلاب.

ما فعله سري نسيبة كان له أثر كبير في تراجع الأكاديميين البريطانيين عن مقاطعتهم. مما يؤكد مرة أخرى أن العلة من عندنا، عندما نخذل من يتضامن معنا. والعلة من عندنا عندما تعين السلطة هذا الشخص رئيساً للجامعة رغم كل أفعاله..

ولكن هذا ليس غريباً فتمسك السلطة بأمثال هؤلاء بات معروفاً وواضحاً، تماماً مثل تداول وزراء الفساد لحقائب السلطة على مدى سنوات أو سلوو..

فالعلة من عندنا!!!

المحرر الثقافي